مراحل التوسع في مدينة سامراء العباسية وامتدادها العمراني

Stages of Expansion in the Abbasid City of Samarra and its Urban Extension

م. م. زكريا هاشم أحمد الخضر[١]

Asst. Lect. Zakria Hashim Ahmad Al- Khider[1]

E-mail: zakria.ha.ah@uosamarra.edu.iq

أ.د. قاسم حسن آل شامان السامرائي[٢]

Prof. Dr. Qasim Hassan Al-Shaman Al-Samurai[2]

E-mail: Qasim.hasan@uosamarra.edu.iq

جامعة سامراء/ كلية التربية[١][٢]

Samarra University - College of Education[1][2]

الكلمات المفتاحية: سامراء، العباسيين، المعتصم بالله، المتوكل على الله.

Keywords: Samarra, the Abbasids, Al Mu'tasim, Al Mutawakkil.

الملخص

أخذت مدينة سامراء (٢٢١- ٢٧٩هـ/ ٨٣٥- ٨٩٢م) مكانة مهمة ومميزة ضمن التاريخ العمراني للعرب المسلمين من خلال ما قدمته من نماذج وأساليب عمرانية غير مسبوقة كانت لها أصداء امتدت لقرون طويلة، فأثّرت على الطابع العمراني للعديد من المدن الإسلامية التي أنشأت فيما بعد، وكان الجانب الخططي من أبرز الجوانب العمرانية التي تميزت بها المدينة، وتمثل بامتداد المدينة وتوسعها، والذي يعكس مقدرة فائقة للقائمين على المدينة في إمكانية التعامل مع المستجدات الخططية التي طرأت على المدينة عبر عمرها القصير نسبياً والذي لم يتجاوز الستين سنة، ورغم ذلك قدَّمت مدينة سامراء العباسية أنموذجاً حياً للتعامل امكانية إيجاد الحلول المناسبة لتوسيع الجانب العمراني وكيفية التعاطي مع مستجدات الاطراد السكاني.

Abstract

The city of Samarra (221-279 AH/835-892AD) occupied an important and distinguished position within the urban history of the Arab Muslims through the unprecedented urban models and methods it presented that had resonances that spanned for centuries, affecting the urban character of many Islamic cities that were established later. The planning aspect was one of the most prominent urban aspects that characterized the city, and it represented the extension and expansion of the city, which reflects the superior ability of the city's officials in the possibility of dealing with the tactical developments that occurred in the city during its relatively short life, which did not exceed sixty years, and despite that, the Abbasid city of Samarra provided a living model for dealing with the possibility of finding appropriate solutions to expand the urban aspect and how to deal with the developments of population increase.

المقدمة:

شهدت مدينة سامراء بعد بنائها سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م) على يد الخليفة المعتصم بالله نمواً عمرانياً سريعاً، فاتسعت رقعتها حتى وصلت سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٨م)، بعد بناء المتوكلية، أقصى حدودها، فأصبحت تمتد من القاطول الأعلى شمالاً، وحتى القادسية جنوباً، لمسافة تربو على (٣٠ كم)، فكانت أكبر مدن العالم المتحضر آنذاك، وبالرغم من افتقار الأدلة النصية والآثارية لذلك التمدد، إلا أن ثمة نصوصاً تاريخية متفرقة يمكن جمعها وتحليلها ومن ثم الخروج بنتائج تساعدنا على فهم ذلك التطور العمراني الذي شهدته المدينة خلال سنوات ازدهارها، وعلى ذلك جاء بحثنا تحت مسمى ((مراحل التوسع في مدينة سامراء العباسية وامتدادها العمراني)) لتحقيق تلك الغاية في فهم مراحل توسع المدينة وامتدادها العمراني، والذي تضمن ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة بأهم النتائج، فشمل المبحث الأول بناء المدينة وسبل توفير وتهيئة كل الظروف لإنجاح المشروع، في حين خُصص المبحث الثاني لدراسة التطور العمراني لمدينة سامراء خلال عهد الخليفة المعتصم بالله وما كانت عليه المدينة آنذاك، ثم تلاه المبحث الثالث الذي تضمن استعراضاً لجهود الخليفة الواثق بالله في تطوير المدينة، أما المبحث الرابع فشمل دراسة لجهود الخليفة المتوكل على الله الكبيرة في مجال توسيع المدينة وما قام به من إضافات خططية في مختلف أنحاء المدينة.

المبحث الأول: بناء المدينة

بعد أن استقر رأي الخليفة المعتصم بالله على اختيار منطقة سامراء كموضع يبني فيه عاصمته الجديدة حتى شرع في وضع خططها وبناء منشآتها المختلفة، واتخذ من الجانب الشرقي لنهر دجلة مجالاً حيوياً لبناء مدينته، وجند كل طاقات الدولة في سبيل انجاح مشروعه، بما يناسب طموحاته من حيث إبراز مظاهر الفخامة والابهة على مشروعه الجديد، وظهرت علامات ذلك التوجه منذ بداية نشأة المدينة حين أقدم الخليفة المعتصم بالله على توفير كل مستلزمات إنجاح المشروع بغض النظر عما تتحمله خزينة الدولة من أعباء، فقد واجه وزيره الفضل بن مروان (ت، ٢٥٠هـ/ ٨٦٣م) عقوبة الابعاد والنفي بسبب عدم قدرته على توفير الأموال اللازمة لإتمام مشروعه (الطبري، ١٩٦٩، ٩/ ٢٠؛ عبد الرؤوف، ١٩٧٦م، ١٧٦).

أولاً – تهيئة مستلزمات الإنشاء:

كانت أولى خطوات الخليفة المعتصم بالله استقدام فريق عمل كبير ومتنوع من المتخصصين في مجال أعمال تخطيط المدن والبناء والتشييد، في مقدمتهم المهندسين، الذين كانوا يرافقون الخليفة المعتصم بالله خلال رحلته في تحري المواضع (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٦؛ العلي، ٢٠٠١م، ٨٦).

وشمل صنف المهندسين نوعين، مهندسو البناء والتخطيط العمراني وكانت مهمتهم تعيين مواضع بعض منشآت المدينة، ومهندسي الري، وكانت مهمتهم تنحصر في هندسة الماء ((ووزنه، واستنباطه، والعلم بمواضعه من الأرض)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٩، ٢٦٤).

وإلى جانب المهندسين اختار الخليفة عدداً من رجال الدولة وقادتها وأوكل إليهم مهمة الإشراف على بناء بعض منشآت الخلافة وقصورها، ولابد أن هذا الإشراف شمل تنظيم الإنفاق على البناء ومتابعة سيره (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٨؛ العلي ٢٠٠١م، ٨٩؛ الخضر، ٢٠١٧م، ٥١).

ولكي يضمن الخليفة المعتصم بالله نجاح مشروعه ببناء مدينة تتناسب ومقدرات الدولة العربية الإسلامية خلال عهده سعى لتوفير باقي مقومات نجاح ذلك المشروع، من أيدي عاملة متخصصة ومواد بناء، وامكانات اقتصادية، فاستقدم من أقاليم الدولة العربية الإسلامية عدداً كبيراً من الفعلة والبنائين وكل من له مهنة متصلة بالبناء (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٨؛ المسعودي، ٢٠٠٥م، ٤/ ٥٤).

لم يقتصر الخليفة المعتصم بالله على استقدام عمال البناء والحرفيين ممن لهم علاقة بالبناء والتشييد فقط، بل حاول أن يُحشِّد أيدي عاملة متخصصة في مجالات أخرى كالحدادين والنجارين وغيرهم (اليعقوبي، ١٨٩٢، ٢٦٤).

كما حرص على توفير كافة أنواع المواد الأولية اللازمة في بناء المدينة، فأمر بـ ((حَمْل الساج وسائر الخشب والجُذُوع من البصرة وما والاها، ومن بغداد وسائر السَواد، ومن أنطاكية وسائر سواحل الشام، وفي حَمْل عَمَلَة الرُخام وفَرْش الرُخام، فأُقِيمَتْ باللاذقيَّة وغيرها دُور صناعة الرُخام)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ص٢٥٨).

واتخذ الخليفة خطوة عملية لتشجيع عامة الناس للبناء في المدينة وتسريع عملية إتمامها، فأمر بمنحهم الأراضي الخاصة لأنشاء دورهم، وتَكَفَّل بجزء من نفقات البناء تُمْنَح على شكل هبات كانت تصل أحياناً إلى ألف دينار (الأصفهاني، ١٩٨٦، ٧/ ٢٢٨).

ثانياً – البدء بالبناء:

كان اهتمام الخليفة المعتصم بالله منصباً أول الأمر لتخصيص أهم المواضع وأكثرها صلاحية لإنشاء قصور الخلافة، فأشار (اليعقوبي، ١٨٩٢م) إلى أن الخليفة المعتصم بالله ((أحضر المهندسين فقال: اختاروا أصْلَح هذه المواضع، فاختاروا عدَّة مواضع للقصور)) (٢٥٩)، وأكد (المسعودي، ٢٠٠٥م) ذلك بالقول: ((وارتاد (المعتصم) لبناء قصره موضعاً فيها فأسس بنيانه)) (٤/ ٥٤).

تـلا ذلـك تحديـد المنطقـة الخاصـة بالمسـجد الجـامع والأسـواق وجعلهمـا فـي موضـع واحـد، فأشـار (البـلاذري، ١٩٨٨م) إلـى أن الخليفـة المعتصـم بـالله: ((بنـى مسـجداً جامعـاً فـي طـرف الأسواق)) (٢٩١)، ويبدو (اليعقوبي، ١٨٩٢م) أكثر دقة في ذلك التحديد، فقال: ((وخطَّ المسجد الجامع، واختطَّ الأسواق حول المسجد الجامع)) (٢٥٨).

وبـالرغم من سكوت المصـادر عن تقاليد وخطـوات إقامـة البنيـان، إلا أن من الطبيعـي أن تخطيط المواضع وتهيئتها تم وفق معايير متفق عليها مسبقاً تم تدارسها قبل البدء بالتشييد، ومنها اعـداد رسـومات خاصـة بالمنشـآت المختلفـة، وكـان ذلـك التقليـد متبعـاً عنـد المهندسـين العـرب المسلمين، فقد اتخذ مهندسو الخليفة أبو جعفر المنصور تلك الاجراءات عند بناء مدينة بغداد (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٢م، ١/ ٣٧٥؛ أدهم، ١٩٦٩م، ١٣٤).

المبحث الثاني – التطور العمراني خلال عهد الخليفة المعتصم بالله:

بدأت المدينـة تتوسـع بشكل سريع بعد أن تأكد النـاس بأنهـا باتت البديل الجديد للعاصـمة بغداد، وأن الخليفة المعتصم بالله اتخذ القرار النهائي بالمكوث فيها، فتوافد النـاس إليها وأقبلوا على البناء فيها (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٤)، وتقف وراء ذلك الإقبال عوامل عدة، منها سياسة الخليفة المعتصم بالله بتشجيع النـاس على الانتقال إليها والبنـاء فيها، وذلك عن طريق منح الأراضي كإقطاعات يجري تعيينها وتحديد مساحتها بلجنة من المختصين تقوم بنصب المنائر على حدود القطيعة، التي غالباً ما كانت واسعة تصل مساحة بعضها إلى خمسين ألف ذراع، كما كـان يُمْنَح صـاحب الإقطـاع نفقـة بنـاء القطيعـة (الأصـفهاني، ١٩٨٦م، ٧/ ٢٢٨؛ ابـن أبـي أصيبعة، ١٩٨٨م، ٢٢٥؛ العمري، ٢٠٠٢م، ٩/ ٣٧٧؛ الخضر، ٢٠١٧م، ١٠٢).

كما ساهم نقل مؤسسات الدولة المركزية من بغداد إلى سامراء بكامل طواقمها من إداريين وعسكريين وكتّاب وما يصحب ذلك من كوادر داعمة، في نقل الثقل الاقتصادي والسكاني نحو المدينـة الجديدة، فرغب ((وجوه النـاس في أن يكون لهم بها أدنى أرض وتنافسوا في ذلك، وبلغ الجريب من الأرض مالاً كثيراً، فتوسع النـاس بالبناء في سامراء أكثر من اتساعهم ببغداد، فبنوا المنازل الواسعة)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٣– ٢٦٤).

وتعطـي النصـوص التـي أوردهـا اليعقوبي، بشكل منفرد عن بـاقي المؤرخين، صـورة شـبه واضحة حول التطور العمراني للمدينـة، بالرغم من أن وصفه لخططها كان يمثل مرحلة متأخرة من ذلك التاريخ، إلا أنـه كان معتنياً بإيراد بعض الإشارات حول ملامح المدينـة وخططها خـلال المرحلة المبكرة، وذلك مـا يعين على تتبـع تطـور المدينـة وامتدادها في الوقت الذي لم تفلح فيه الاكتشـافات الأثريـة فـي حسم الكثير من القضـايا المتعلقـة بـذات الموضـوع، ولكـن هـذا لا يعنـي

إهمال النصوص ذات العلاقة في المصادر الأخرى، إنما على العكس من ذلك، فأن توظيف تلك النصوص بشكلها الصحيح يدعم مصداقية نصوص اليعقوبي.

ويمكن تتبع إشارات تلك النصوص والتي تتضح معها الصورة بشكل يمكن من خلاله التوصل إلى بعض النتائج المرضية في ذلك المجال، فخلال السنوات الأولى من عمر المدينة كانت خططها تتوزع حول عدة مراكز تفصل بينها مساحات من الأرض الفارغة، ففي الشمال تركزت منطقتي الدور والكرخ، والتي تنفصل عن سامراء بفضاء من الأرض كان جزءً من الحير، وبذلك تشكّل القطيعتان مركزين استيطانيين منفصلين خططياً عن المدينة (الطبري، ١٩٦٩م، ٩/ ٤٤٨).

أما في الجنوب فقد كان البناء في المطيرة معزولاً عن مركز المدينة، حتى منح الخليفة المعتصم بالله الحسن بن سهل إقطاعاً جنوب مركز المدينة بينها وبين المطيرة، فاتصل البناء حتى أصبحت قطيعة الحسن وسط العمران (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٩).

مما يعني أن النهاية الجنوبية لعمران المدينة خلال هذه المرحلة كانت تنتهي عند المطيرة، وعلى ذلك فإن المدينة كانت تمتد من شمال قصور الخليفة وحتى الجزء الجنوبي من مركز المدينة الذي تتمركز فيه آخر الأسواق قبل أن تتصل بالمطيرة بعد بناء الحسن بن سهل لقطيعته هناك (Northedge, 2007, 99).

أما ما يتعلق بالمنطقة الفاصلة بين قصور الخليفة ومركز المدينة فإنها، طبقاً لليعقوبي، خُصّصت لقطائع رجالات الدولة من الكتّاب والموظفين، وكبار القادة العسكريين، وبالرغم من أن اليعقوبي لم يشر صراحة إلى تاريخ اشغال تلك المنطقة، إلا أن أسماء بعض الإقطاعات فيها يدلّ على إنها كانت مشغولة منذ وقت مبكر، كقطيعة وصيف القديمة، وقطيعة إيتاخ، وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات، وقطيعة الفضل بن مروان (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٢).

في حين كان العمران من جهة الشرق يتركز على امتداد ثلاثة شوارع رئيسة وهي شارع السريجة، وشارع أبي أحمد بن الرشيد وشارع الحير، وينتهي العمران عند ذلك بحائر الحير، الذي بناه الخليفة المعتصم بالله على طول الجهات الشرقية من المدينة (البلاذري، ١٩٨٩م، ٢٩١؛ اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٣٦٣).

المبحث الثالث – التطور العمراني في عهد الخليفة الواثق بالله:

شهدت المدينة تطوراً عمرانياً ملحوظاً خلال عهد الخليفة الواثق بالله، فأشار اليعقوبي إلى أنه ((قرَّب قوماً وباعد ديار قوم، على الإحظاء لا على الإبعاد، فأقطع وصيفاً دار الأفشين التي بالمطيرة، وانتقل وصيف عن داره القديمة إلى دار الأفشين ولم يزل يسكنها وكان أصحابه ورجاله حوله، وزاد في الأسواق وعَظُمَت الفُرَض التي تردها السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل،

وجدّد الناس البناء وأحْكَموه واتَّقَنوه لمّا علموا أنها قد صارت مدينة عامرة وكانت قبل ذلك يسمونها العسكر)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٤ –٢٦٥).

كما اعتنى بأمر مراسي السفن على نهر دجلة وربما كان من ضمن مشاريعه استحداث شارع الخليج الذي قال عنه اليعقوبي: ((والشارع الذي على دجلة يسمى شارع الخليج، وهناك الفُرَض، والسُفن، والتجارات التي ترد من بغداد، وواسط، وكَسْكَر، وسائر السواد من البصرة والأُبُلَّة، والأحواز، وما اتصل بذلك، ومن الموصل، وديار ربيعة، وما اتصل بذلك)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٣).

ومن خلال النصين السابقين يبدو أن التوسع خلال عهد الخليفة الواثق كان واضحاً في منطقتين، الأولى جنوب سامراء عند المطيرة بعد انتقال القائد وصيف وجنده من قطيعته القديمة جنوب قصور الخليفة والاستقرار فيها، والثاني في غرب المدينة عند شاطئ نهر دجلة، ويبدو أن حجم ما يرد من بضائع وسلع للمدينة من نواحي عديدة من العالم الإسلامي استدعى ذلك تطوير المنشآت التجارية من فرض ومراسي وأسواق لاستيعاب حجم الحركة التجارية المتنامية في المدينة.

المبحث الرابع – التطور العمراني في عهد الخليفة المتوكل على الله:

وصلت سامراء خلال عهد الخليفة المتوكل أقصى نموها وأزهى سنوات عمرانها لما عُرف عنه حبه للبناء والعمران، فقد قيل: ((ولم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل)) (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ٣٦٧؛ ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، ٣/ ١٧٥).

وكانت أعماله العمرانية قد شملت التوسع الأكبر للمدينة، ويمكن تتبعها على مدى سنوات حكمه، وشملت عدة مناطق من المدينة:

أولاً – التطور العمراني الأول (بناء الجامع الكبير):

بعد توليه الخلافة مباشرة أجرى إضافة مهمة لخطط المدينة بعد قراره بهدم المسجد الجامع الذي بناه الخليفة المعتصم بالله وبناء جامع آخر يستوعب الأعداد المتزايدة من المصلين، وأُختير له موضع واسع عند حدود الحير في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة (البلاذري، ١٩٨٩م، ٢٩١؛ ابن الفقيه، ١٩٦٩م، ٣١٦؛ صقر، ١٩٨٣م، ٨٦).

استلزم بناء المسجد الجامع إضافة بعض الأبنية والمنشآت المهمة، والتي صممت وفق تخطيط مسبق، وشملت أسواقاً جديدة روعي في تخطيطها أن تكون اسواقاً متخصصة تتكون من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة، خُصص كل صف لنوع معين من التجارات، وبين تلك الصفوف أنشأت قطائع جماعة من عامة الناس، وقطائع لكبار رجال الدولة وموظفيها وأعيان الأمراء العباسيين (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٦).

وذكر (ابن الجوزي، ١٩٩٢م) بأن تلك التوسعة استغرقت حوالي ثلاث سنوات (٢٣٤-٢٣٧هـ/ ٨٤٨- ٨٥١م) (١١/ ٢٥٢)، وتظهر ملامحها بوضوح في الأقسام الشرقية من منطقة الخرائب، ويمكن تتبع آثارها بشكل واضح، وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية توزعت في الجهات الغربية والشمالية من الجامع، وتمتاز بالتخطيط المنتظم، وتمتد الابنية في الجهة الشمالية لتصل تقريباً حتى الحدود الجنوبية لدار الخليفة.

وشهدت المنطقة أعمالاً تنقيبية في أكثر من موقع فيها، تم خلالها الكشف عن بعض المعالم العمرانية هناك، ففي الجهة الشمالية منها تم التنقيب في موضعين خلال المواسم (١٩٣٦- ١٩٣٩م) هما الدار رقم (١)، والدار رقم (٢) (مديرية الآثار القديمة ١٩٤٠م، ١٢ – ١٤؛ السامرائي، ١٩٧٣م، ٢/ ١٧٦)، ومن ثم تم التنقيب في موضع آخر يقع إلى الغرب من المسجد الجامع وهو ما أصطلح عليه باسم بيت الزخارف، نسبة إلى ما تم الكشف عنه من مجموعة كبيرة من الزخارف الجصية التي تزيين أزارات الدار (عبد الباقي، ١٩٨٩م، ١/ ٢١٠).

وبذلك فقد أضافت الكتلة البنائية الجديدة لخطط سامراء توسعاً باتجاه الشرق، وهو ما كان أمراً غير ممكناً خلال المرحلة السابقة من عمر المدينة بسبب عامل المياه وامكانية توفيرها، ولكن تمكن السامرائيون من حل تلك المشكلة، عبر مشروع عملاق أضاف طفرة نوعية ساهمت في حل مشكلة التخوف من التوسع باتجاه الحير، بعد أن قام الخليفة المتوكل على الله بتحشيد الطاقات والخبرات المتوفرة آنذاك لإيجاد الحل المناسب لمشكلة المياه، وبالفعل تم إنشاء مشروع الكهاريز، لإيصال المياه إلى كل مناطق وأحياء المدينة، وبذلك أصبح التوسع باتجاه الشرق أمراً ممكناً (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٥٦؛ الأنصاري والخضر، ٢٠٢٠م، ١٠).

ويمكن تصور حجم الخبرات الهندسية والقدرات الفنية التي كانت تمتلكها الدولة آنذاك إذا ما أُخذ بعين الاعتبار أن مشروع الكهاريز تضمن إنشاء قناتين جوفيتين تستمد مياههما من نهر دجلة في نقطة تقع على نحو (٤٠ كم) شمال مدينة سامراء، ليبلغ مجموع طول القناة الواحدة ما يعادل (٧٠كم)، وأن المدة التي استغرقها المشروع لم يتجاوز الأربع سنوات وهي المدة المحصورة ما بين (٢٣٤-٢٣٧هـ/ ٨٤٨- ٨٥١م)، بحيث ما أن تم إكمال المسجد الجامع حتى بدأت المياه تتدفق فيه عبر تلك القنوات (سوسة، ١٩٤٨م، ١/ ٢٨٢؛ الأنصاري والخضر، ٢٠٢٠م، ١٠).

ثانياً – التطور العمراني الثاني (التوجه نحو الحير):

بعد توفر عوامل التوسع باتجاه الشرق، ومنها انشاء شبكة الكهاريز وحل مشكلة المياه، بدأت أنظار الخليفة المتوكل على الله تتجه إلى تلك النواحي، بعد أن شهدت المدينة زيادة سكانية، فاقتضى الأمر انشاء قطائع وأحياء جديدة لإسكان تلك الاعداد، فكان المجال الحيوي

الوحيد الذي يسمح بتلك التوسعة هي الجهات الشرقية من المدينة، ((فأقطع الناس في ظهر سر من رأى، بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجزه بها، قطائع فاتسعوا بها)) (البلاذري، ١٩٨٨م، ٢٩١)، وهناك تم فتح عدة شوارع وهي على التوالي ((شارع برغامش التركي وفيه قطائع الأتراك والفراغنة، .... ثم شارع يعرف بصالح العباسي، وهو شارع الأسكر فيه قطائع الأتراك والفراغنة أيضاً، .... ثم شارع خلف شارع الأسكر يقال له شارع الحير الجديد فيه أخلاط من الناس من قوّاد الفراغنة والأشروسنية وغيرهم من سائر كور خراسان)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٣).

لم تحدد المصادر تاريخ تلك التوسعة إلا أنها على ما يبدو أنشأت بعد أن أمر الخليفة المتوكل على الله بمد شبكة الكهاريز والانتهاء من مشروع المسجد الجامع، وتظهر بقاياها واضحة على طول الجهات الشرقية لمنطقة الخرائب، بدءً من جنوب المسجد الجامع حتى تنتهي عند نقطة تقع إلى الشرق من خرائب المطيرة، كما تظهر آثار وبقايا القناة الجوفية تتخلل تلك المناطق عبر مسار يقع شرق منطقة الخرائب وتمتد جنوباً، ويلحظ وجود مسارات لقنوات ثانوية تمتد من الشرق إلى الغرب تنتهي بشكل متعامد مع مجرى نهر دجلة، وعلى ما يبدو فأن تلك القنوات كانت تنقل المياه من القناة الرئيسة إلى الأحياء والمناطق السكنية جنوب سامراء، وكانت تظهر بقاياها في خرائب الجبيرية جنوب سامراء (Northedge, 1985, 119- 120).

ثالثاً – التطور العمراني الثالث بناء قصر بلكوارا:

استمر الخليفة المتوكل على الله بأعماله العمرانية وتوجهت أنظاره صوب الجنوب، ليبدأ بالمرحلة الثالثة من مشروعه العمراني، فأمر ببناء قصره الشهير والمعروف ببلكوارا، فخصص مجالاً حيوياً لإنشائه بكامل ملحقاته عبر بقعة من الأرض تقارب مساحتها (١,٣٦٤,٢٩٩م^{٢})، فضلاً عن بناء قطائع للجند في الجهات الشمالية والشرقية من القصر حتى اتصلت تلك النواحي بالمطيرة. (Northedge, 2015, 1/ 103).

ويبدو أن بناء القصر يعود بداية عهد الخليفة المتوكل على الله، فقد خصَّصهُ لإقامة ولده المعتز بالله بعد أن عقد له البيعة بولاية العهد سنة (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) (الطبري، ١٩٦٩م، ٩/ ١٧٠؛ ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٦/ ١٢٢).

وطبقاً لذلك التاريخ فأن حملة إعمار القصر كانت متزامنة مع بناء المسجد الجامع، وربما مع أحياء الجهة الشرقية.

رابعاً – التوسعة الرابعة بناء المتوكلية:

برغم كل الاعمال العمرانية التي قام بها الخليفة المتوكل على الله في مدينة سامراء، إلا أنها لم تشبع رغبته في البناء والتعمير، فقرر البحث عن مجال حيوي يلبي رغباته في إقامة

مشروعه الضخم والكبير وهو بناء مدينته الجديدة أسوة بأبيه وجده الخليفة أبي جعفر المنصور (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٧).

تم اختيار وتحديد ذلك المجال الحيوي في أقصى الشمال من مدينة سامراء وبالتحديد في موضع الماحوزة، فوجَّه المهندسين والفنيين والفعلة، وانتقل إلى المحمدية متخذا منها مقراً ليكون قريباً من مواقع العمل، وبدأ العمل فيها سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) وسرعان ما تكامل البناء والعمران فيها حيث انتقل إلى السكن فيها في محرم سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، ((وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى، فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها)) (البلاذري، ١٩٨٩م، ٢٩١)، وبذلك أصبح العمران في سامراء يمتد من القادسية جنوباً وحتى نهر القاطول الأعلى شمالاً ((ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج، ولا موضع لا عمارة فيه، فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ)) (اليعقوبي، ١٨٩٢م، ٢٦٧).

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من النتائج التي يمكن إيرادها على النحو التالي:

- كان لمشروع بناء مدينة سامراء أهمية قصوى لدى الخليفة المعتصم بالله، لذا حشَد لإنجاح مشروعه كل الطاقات والخبرات الفنية في مجال العمران ومن أنحاء الدولة جمعاء، كما اعتنى الخليفة المعتصم بالله بتوفير كل مستلزمات البناء من مواد أولية وغيرها.

- بدأت المدينة تتوسع بشكل سريع بعد أن تأكد الناس بأنها باتت البديل الجديد للعاصمة بغداد، فانتقل إليها أصحاب الطبقة العليا من المجتمع وعلى رأسهم كبار رجالات الدولة من كتاب وموظفين، فأسهم ذلك ببناء الدور الواسعة والكبيرة، كما انتقل إليها أصحاب رؤوس الأموال من التجار وغيرهم فساهموا في بناء المدينة.

- أدى إقبال الناس على السكن في المدينة إلى زيادة أسعار الأرض فيها بشكل لفت انتباه المؤرخين إلى ذلك.

- في عهد الخليفة الواثق بالله بدأت المدينة تأخذ طابعاً جديداً من حيث التأكيد على هويتها ووظيفتها كعاصمة للدولة من غير شك، فبدأ الناس يعتنون ببناء منازلهم أكثر من ذي قبل، وأسهمت أعمال الخليفة الواثق العمرانية في زيادة ذلك التأكيد عند الناس، بعد أن قام بإنشاء الموانئ الخاصة بالزوارق التجارية، وتوسعة الأسواق وغيرها مما يتعلق بإثبات هوية المدينة.

- بدء التوسع الأكبر للمدينة في عهد الخليفة المتوكل على الله فامتد العمران في جهات المدينة المختلفة، وكانت الحملات العمرانية التي قام بها الخليفة المتوكل تنقسم إلى أربع

حملات نفذ بعضها بوقت واحد مثل بنائه للمسجد الجامع الذي صاحبه توسعة الجانب الشرقي للمدينة، وأخرى بشكل متتالي كما هو الحال في التوسعة الجنوبية عند بلكوارا.

- كان لبناء المتوكلية الحدث الأكبر ضمن جهود الخليفة التوكل على الله العمرانية، وكان قد اتخذ مكاناً شمال سامراء ليبني به ضاحيته التي سماها بالمتوكلية، وكانت هناك بعض المستوطنات السابقة للفتح الإسلامي قد دخلت ضمن مشروعه الكبير، مثل الماحوزة والدور والكرخ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً – قائمة المصادر:

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم. (١٩٩٧م). الكامل في التاريخ. تحقيق، عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. (١٩٨٦م). الأغاني. تحقيق، سمير جابر. دار الفكر. بيروت.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم. (١٩٨٨م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق، نزار رضا. مكتبة الحياة. بيروت.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٨٨م). فتوح البلدان. مكتبة الهلال. بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. (٢٠٠٢م). تاريخ بغداد. تحقيق، بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٩٦٩م). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى. (٢٠٠٢م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. المجمع الثقافي. أبو ظبي.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد. (١٩٩٦م). كتاب البلدان. تحقيق، يوسف الهادي. عالم الكتب. بيروت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (٢٠٠٥م). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق، كمال حسن مرعي. المكتبة العصرية. بيروت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (١٩٧٧م). معجم البلدان. دار صادر. بيروت.

اليعقوبي، أحمد بن إسحق. (١٨٩٢م). البلدان. تحقيق، دي غويا. بريل. ليدن.

ثانياً – قائمة المراجع:

أدهم، علي. (١٩٦٩م) أبو جعفر المنصور. دار الكتاب العربي. القاهرة.

الأنصاري، عابد براك، والخضر، زكريا هاشم أحمد. (٢٠٢٠م). تطبيقات هندسة الإرواء في مدينة سامراء العباسية (٢٢١– ٢٧٩هـ/ ٨٣٥– ٨٩٢م) مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، مج٧، عدد٢١، ص١ – ٢٦.

الخضر، زكريا هاشم أحمد. (٢٠١٧م). خطط سامراء واشكالية تحديد المواضع بين النصوص التاريخية والدراسات الآثارية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة سامراء، كلية التربية.

السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم. (١٩٧٣م). تاريخ مدينة سامراء. مطبعة الأمة. بغداد.

سوسة، أحمد. (١٩٤٨م). ري سامراء في عهد الخلافة العباسية. مطبعة المعارف. بغداد.

صقر، نادية حسني. (١٩٨٣م). مطلع العصر العباسي الثاني (الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله ٢٣٢– ٢٤٧هـ). دار الشروق. جدة.

عبد الباقي، أحمد. (١٩٨٩م) سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.

عبد الرؤوف، عصام الدين. (١٩٧٦م). الحواضر الإسلامية الكبرى. دار الفكر العربي. القاهرة.
العلي، صالح أحمد. (٢٠٠١م) سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية. شركة المطبوعات. بيروت.
مديرية الآثار القديمة. (١٩٤٠م). حفريات سامراء (١٩٣٦-١٩٣٩م). مطبعة الحكومة. بغداد.

ثالثاً – المصادر الأجنبية:

Northedge, A. (2015) Archaeological Atlas of Samarra. British School of Archaeology in Iraq. London.

Northedge. (1985) Planning Samarra: a Report for 1983- 1984. Iraq. Vol 47, 109 - 28.

Northedge. (2007) The Historical Topography of Samarra. British School of Archaeology in Iraq. London.

Sources and references

Abdel Raouf, Essam El-Din. (1976) The Great Islamic Cities. Dar Al-Fikr Al-Arabi. Cairo.

Abdel-Baqi, Ahmed. (1989) Samarra, the Capital of the Arab State during the Abbasid Era. House of General Cultural Affairs. Baghdad.

Adham, Ali. (1969) Abu Jaafar Al-Mansour. Dar Al-Kitab Al-Arabi. Cairo.

Al-Ali, Saleh Ahmed. (2001) Samarra: A Study in Population Development and Structure. Publications Company. Beirut.

Al-Ansari, A. B., and Al-Khader, Zakria Hashim Ahmad. (2020). Applications of Irrigation Engineering in the Abbasid City of Samarra (221-279 AH / 835-892 AD). Al-Malwiya Journal of Archaeological and Historical Studies. Vol 7. Issue 21. 1 - 26.

Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya. (1988). Futuh al-Buldan. Al-Hilal library. Beirut.

Al-Isfahani, Abu Al-Faraj Ali bin Al-Hussein (1986) Al-Aghani. edited by: S. Jaber. Dar Al-Fikr. Beirut.

Al-Khader, Zakria Hashim Ahmad. (2017) The Plans of Samarra and the Problem of Determining Placements between Historical Texts and Archaeological Studies. unpublished master's thesis. University of Samarra, College of Education.

Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad bin Ali bin Thabit. (2002). Tarikh Baghdad. edited by: B. A. Ma'rouf, Dar Al-Gharb Al-Islami. Beirut.

Al-Masoudi, Abu Al-Hasan Ali bin Al-Hussein. (2005). murawij aldhahab wamaeadin aljawhar. edited by: K. H. Mar'i, Al-Asriyya library. Beirut.

Al-Omari, Shihab al-Din Ahmad bin Yahya (2002) masalik al'absar fi mamalik al'amsar. Cultural Foundation. Abu Dhabi.

Al-Samarrai, Y. S. I. (1973) History of the City of Samarra, Al-Ummah Press. Baghdad.

Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir (1969) tarikh alrusul walmuluk. edited by: M. A. Ibrahim. Dar Al-Maaref. Cairo.

Al-Yaqubi, Ahmad bin Ishaq. (1892). Al-Buldan. edited by: De Goya. Brill. Leiden.

Directorate of Ancient Antiquities. (1940). Samarra Excavations (1936-1939). Government Press. Baghdad.

Ibn Abi Usaibah, Muwaffaq al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn al-Qasim. (1988). Uyun al-Anba' fi Tabaqat al-atbaa. edited by: N. Reda. Al-Hayat library. Beirut.

Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali bin Abi al-Karam. (1997). al-Kamil fi al-Tarikh. edited by: O. A. Tadmuri. Dar al-Kitab al-Arabi. Beirut.

Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad. (1996). Kitab al-Buldan. edited by: Y. al-Hadi. Alam al-Kutub. Beirut.

Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali. (1992). al-Muntaḥam fi Tārikh al-Muluk wa al-Nāmī. edited by: M. A. Atta & M. A. Atta. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. Beirut.

Saqr, Nadia Hosni. (1983) The Beginning of the Second Abbasid Era (Political and Cultural Trends in the Caliphate of Al-Mutawakkil Ali 232-247 AH). Dar Al-Shorouk. Jeddah.

Sousa, Ahmed. (1948). Ray Samarra. Al-Ma'arif Press. Baghdad.

Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah. (1977). Mu'jam al-Buldan. Dar Sader. Beirut.

Northedge, A. (2015) Archaeological Atlas of Samarra. British School of Archaeology in Iraq. London.

Northedge. (1985) Planning Samarra: a Report for 1983- 1984. Iraq. Vol 47, 109 - 28.

Northedge. (2007) The Historical Topography of Samarra. British School of Archaeology in Iraq. London.